الأباضية في المغرب العربي

تأليف

د. أحمد الياس حسين
كلية التربية - جامعة الخرطوم

مكتبة الضامري

الأباضية

في المغرب العربي

الأباضية في المغرب العربي

تأليف
د. أحمد الياس حسين
كلية التربية - جامعة الخرطوم

نشر وتوزيع
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نشر وتوزيع
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
ص.ب.: ٩٠٠٢ السيب
سلطنة عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تميز تاريخ المغرب العربي في القرون الهجرية الأولى بالثورات والتقلبات المتكررة ، مثل العامل القومي في القرن الأول الهجري محل الصراع . ثم حل الصراع المذهبي في المرحلة الثانية محل العامل القومي ونتج عنه ظهور دويلات استند قيامها إلى المذهبية مثل دولة الصفرية في سجلماسة ودولة الأباضية في المغرب الأوسط ودولة الادارسة في المغرب الأقصى والدولة الفاطمية ويمثل الأباضية جزءاً هاماً من ذلك الصراع الذي دار في المغرب ، منذ بداية القرن الثاني الهجري . ولتتبع ذلك الدور لا بد من إلقاء نظرة سريعة على أحوال المغرب في الفترة التي سبقت دخول المذهب الأباضي للوقوف على المناخ الذي هيأ للاباضية وغيرهم من الدعاة غرس بذور فرقهم . ثم أتناول بالدراسة المذهب الأباضي وانتشاره في المغرب الأدنى والأوسط ، والمحاولات المتكررة لتأسيس الدولة الأباضية التي تولدت عنها الدولة الرستمية في

العقد السابع من القرن الثاني الهجري ، ثم أبين الدور الذي لعبته هذه الدولة في تاريخ المغرب ، وما آلت إليه أوضاع الأباضية بعد سقوط دولتهم .

الصراع بين البربر والمسلمين :

تورد كتب الفتوح وحوليات التاريخ الإسلامي الكثير من الأخبار المتعلقة بفتوح المغرب والارتداد المتكرر لسكانه والجهود التي بذلها كبار القادة لإخضاع المنطقة . فلماذا قاوم البربر الفتح الإسلامي تلك المقاومة العنيفة ؟

تعرض سكان المغرب للغزو الخارجي منذ قرون كثيرة قبل الفتح الإسلامي ، وكان الغرض الأساسي من تلك الغزوات هو الاستيطان واستغلال ثروات البلاد التجارية والزراعية . وإبعاد سكان المغرب عن ترابهم ما أمكنهم ذلك ، فقاوموا اليونانيين والرومان والوندال والبيزنطيين ، وسواء تمت تلك المقاومة تحت قيادة الممالك الوطنية أو تحت ألوية القبائل فإنها سعت للاحتفاظ بالأرض وعدم الجلاء عنها . وقد تعلم البربر من تلك الأحداث الاتحاد أمام الأطماع الخارجية ، فكانت القبائل الصحراوية تتعاون مع قبائل الساحل وكذلك الممالك تستنجد ببعضها . فقد أعانت مملكة الجرمانتيين في فزان

مملكة توميديا ـ في الجزائر ـ في صراعها ضد الرومان في القرن الميلادي الأول[1] .

ونتج عن ذلك رباط قومي ولم تكن هناك صعوبات تواجه اختلاط العرب بالبربر كالتي كانت قائمة بينهم وبين الروم رغم عدم وجود الكيان السياسي الذي يضم السكان في دولة واحدة .

وعندما زحفت جيوش المسلمين نحو المغرب هب البربر للمقاومة وخاضت الجيوش الإسلامية الكثير من المعارك في سبيل كسر شوكتهم . ولم يتمكن المسلمون من ذلك حتى تحقق للبربر أن النزلاء الجدد يختلفون عن السابقين بما يحملونه من تعاليم دينهم الذي يرفض الاستغلال وينادي بالمساواة . وبدأ البربر في اعتناق الإسلام ، وقلت مقاومتهم كلما ازداد الإسلام انتشاراً حتى هدأت أحوال المغرب وانتهت المقاومة قبل نهاية القرن الهجري الأول .

ويبرز هنا سؤال هام ، لماذا عاد البربر إلى الثورات في أول القرن الثاني للهجرة بعد ازياد انتشار الإسلام بينهم ؟

---

(١) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، تاريخ ليبيا القديم (بيروت ، دار صادر) ١٩٧١ م ، ص ٣٥٥ .

لقد وجد البربر في الدين الإسلامي حلاً لجميع العلاقات التي قادتهم إلى الاصطدام بالشعوب التي دخلت بلادهم وأزالت التشريعات الإسلامية المشاكل التي كانوا يعانون منها وعلى رأسها المساواة ومشكلة الضرائب ، إلا أن سلوك ولاة المسلمين خاصة في مطلع القرن الهجري الثاني ، بدأ يخالف تعاليم الدين الإسلامي .

كان البربر يسعون إلى تطبيق مبادىء الإسلام كما فهموه من معلميهم الأوائل ، بينما اتجه الولاة إلى فرض سيطرة العنصر العربي وتميزه ، ويتعارض ذلك مع مبدأ المساواة . وكان الولاة يسعون إلى جمع الأموال بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لترضية الخلفاء . ويتعارض هذا أيضاً مع تعاليم الإسلام . وأصبح الفرق واضحاً بين تعاليم الدين وما هو واقع دينهم . فماذا كان رد الفعل ؟ تحرك البربر غير خارجين عن الإسلام بل مصححين لممارسته .

بدأ تحرك البربر في مطلع القرن الثاني للهجرة مع بداية ولاية يزيد بن أبي مسلم لأفريقية عام ١٠٢ هـ (٧٢٠ م) . ونكتفي بما ذكره ابن عزارى المراكشي عن هذا الوالي حيث قال « كان ظلوماً غشوماً . . . وكان البربر يحرسونه ، فقام

على المنبر خطيباً فقال : إنني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم ، كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فأرسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي ليعرفوه بذلك بين سائر الناس ، فلما سمعوا ذلك منه ـ أعني الحرس ـ اتفقوا على قتله(٢) .

كانت هذه المحادثة في بادية القرن الهجري الثاني بعد

---

(٢) ابن عزارى المراكشي ، البيان ، المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج.س. كدلات وا. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ج ١ ص ٤٨ .

بعض الآراء ترجح كلمة الخوارج إلى ما قبل معركة النهروان استناداً إلى الأحاديث التي رويت عن الرسول ﷺ والتي ورد أغلبها لحث المسلمين لقتال الخوارج مثل الحديث الذي أخذه البخاري (٢٥٦ هـ/ ٢٧٦) عن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الأنصاري (٧٤ هـ/ ٦٩٤) قال : بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال أعدل يا رسول الله ، فقال ويلك من يعدل إذا لم أعدل . قال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه قال دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .وقد ناقش المؤلف كثيراً شخصية هذا الرجل وأورد الوصف الذي أورد فيه والأحاديث الأخرى وبعد مناقشة يمكن القول بأن لفظ الخارجية سبق معركة النهروان .

انظر آراء الخوارج الكلامية ـ د. عمر طالب ج ١ ص ٣٥ ـ ٤٦ . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ـ الجزائر ، ١٩٧٨ م .

المحاولات الجادة التي بذلها الخليفة عمر بن عبد العزيز لتدعيم إسلام البربر وإرسال الكثير من التابعين للمغرب يعلمونهم أصول الدين ويبصرونهم بقواعده . فقد أحس البربر أن ولاة الأمويين عادوا إلى أنظمة الحكم البيزنطية التي لم يرتضوها . وانطلقت الشرارة مرة أخرى في طنجة التي تسلط عليها أحد ولاة عبيد الله بن الحبحاب « فأساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر ، وأراد أن يخمس البربر ، وزعم أنهم فيء للمسلمين »[٣] .

حاول البربر إصلاح تلك المساوىء بالحسنى وارتفع صوت الشكوى في كل مكان ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى الخلفاء الذين احتجوا في قصورهم . وكان الخلفاء أنفسهم « يستحبون طرائف المغرب ، ويبعثون فيها إلى عامل أفريقية ، فيبعث لهم البربريات السنيات » ، فلما أفضى الأمر إلى ابن الحبحاب مناهم بالكثير وتكلف لهم أو كلفوه ، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة »[٤] .

أدت مساوىء الإدارة الأموية إلى التذمر وسخط البربر ،

---

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٥) ج ٥ ص ١٩١ .

(٤) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ٥٢ .

ووجد دعاة المذاهب المناهضة للأمويين بيئة صالحة لبث آرائهم ، فهيأوا البربر للثورات ونبذ طاعة الولاة ، كما حركت تلك المساوىء في نفوسهم الرغبة في الانفصال عن مركز الخلافة العاجزة عن رعاية وتطبيق مبادىء الإسلام ، بل والخارجة عليه في نظر بعضهم ، وكان دعوة الأباضية من بين أولئك الدعاة الذين وجدوا أرضاً صالحة لحزبهم .

المذهب الأباضي :

ترجع جميع المؤلفات الأباضية[٥] نشأة مذهبهم إلى جابر بن زيد من أبرز علماء النصف الثاني من القرن الهجري الأول . التقى جابر بعدد كبير من أصحاب الرسول ﷺ وأخذ عنهم ، وقد نقلت كتب السير عن جابر أنه قال :

---

(٥) انظر على سبيل المثال : الدرجيني ، طبقات المشائخ بالمغرب . تحقيق : إبراهيم طلاي (قسنطينة ، مطبعة البعث ، بدون) ج ٢ ص ٢٠٥ ، الشماخي ، كتاب السير (الطبعة البارونية) ص ٧٠ ، الحارثي العماني ، العقود الفضية في أصول الأباضية (سوريا ، دار اليقظة العربية ، بدون) ص ٩٣ . محمد علي ديوز ، تاريخ المغرب الكبير (القاهرة ، عيسى البابي الحلبي ، ط ١ ، ١٩٦٣ م) ج ٣ ص ٣٨ . علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الأولى ، نشأة المذهب الأباضي (القاهرة ، مكتبة وهبي ، طبعة أولى ، ١٩٦٤ م) ص ١٥٠ ، كذلك الحلقة الثالثة ـ الأباضية في تونس (بيروت ، دار الثقافة طبعة أولى ، ١٩٦٦ م) ص ٣٠ .

« أدركت سبعين رجلاً من بدر فحوينا ما عندهم من العلم ، إلا البحر الزاخر »[٦] ، ويقصد به ابن عباس وكان ابن عباس يقول عنه : « اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من بالمشرق والمغرب لوسعهم علمه »[٧] .

عاصر جابر الظروف السياسية التي مرت بالأمة الإسلامية . فقد كان في سن السابعة عشر عندما قتل عثمان[٨] ، مما هيأ له إدراك وتقييم تلك الأحداث الكبيرة التي عاشتها الدولة الإسلامية ، وتركت آثاراً ظاهرة على حياتها السياسية والفكرية . كما عاصر جابر بداية الحركة الفكرية التي شهدتها أمصار العالم الإسلامي الكبرى مثل المدينة المنورة والبصرة والكوفة ، وهي الفترة التي نضج فيها فكره . ووضع أسس مدرسته إلى جانب المدارس الأخرى مثل مدرسة الحسن البصري ثم واصل بن عطاء .

---

(٦) الدرجيني ، الطبقات ج ٢ ص ٢٠٥ ، الشماخي ، السير ص ٧٠ ، الحارثي العماني ، العقود الفضية ص ٩٥ .

(٧) نفس المصادر والصفحات .

(٨) هناك اختلاف في تاريخ ولادته ، يرى بعضهم أنها عام ١٨ هـ ، ويرى آخرون أنها عام ٢١ هـ أو ٢٢ هـ - انظر علي يحيى معمر : الأباضية بين الفرق الإسلامية (القاهرة ، مكتبة وهبة ط أولى ١٩٧٦) ص ٢٤٠ ، حاشية رقم (١) ، والحارثي العماني ، العقود الفضية ، ص ٩٣ .

وكان لآراء جابر السياسية الصريحة ، التي نادت بالقضاء على بدعة الملك الأموي والتمسك بنظام الشورى ، صدى واسع في نفوس الكثيرين الذين لمسوا بعد الخلافة الأموية بُعْدَ مبادىء الشريعة الإسلامية . وقد أزعجت تلك الأفكار البيت الأموي ، فتعرض جابر لمراقبة الأمويين ، ولم يسلم من أياديهم فنفاه الحجاج من البصرة إلى عمان حيث مكث فترة عاد بعدها إلى البصرة مواصلاً رسالته لوضع أسس الدولة العادلة إلى أن توفي[٩] .

أخرجت مدرسة جابر عدداً كبيراً من رجال العلم من أشهرهم عبد الله ابن أباض وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[١٠] ، وقد تولى أبو عبيدة زعامة المدرسة بعد وفاة جابر . لم يكن أبو عبيدة أصيلاً في بني تميم ، « بل كان مولى لهم . وكان زنجياً أسود اللون ، لكنه كان سيداً بعقله

---

(٩) وكذلك اختلف في تاريخ وفاته فابن قتيبة جعله ١٠٣ هـ ، والشماخي جعله ٩٦ هـ ، انظر : ابن قتيبة ، المعارف ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٩ م ط ثانية) ص ٤٥٣ ، الشماخي ، السير ص ٧٠ .

(١٠) تاريخ ولادة أبي عبيدة غير معروف ، وتجعل الروايات وفاته في عصر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، انظر الشماخي ، السير ، ص ٨٣ .

وذكائه »[11] ولم تذكر كتب السير والطبقات مقاومة أبي عبيدة للدولة الأموية فلم يخرج عليها ولم يعارضها معارضة علنية ، بل كان يقوم بإعداد تلاميذه وبث الدعوة بينهم . وكان يتستر في ذلك محاولاً الابتعاد عن عيون الحجاج . وقد اقترح عليه أتباعه الخوارج ومنوه بالتفاف الناس حوله إن فعل ، لكن أبا عبيدة كان متريثاً ورفض فكرة الخروج . ومع ذلك فقد لسعته سياط الحجاج إذ قبض عليه وسجن وأدرك أبو عبيدة وأتباعه أن فرصة قيام دولة تتحقق فيها الشورى والعدالة لن يتم إلا بعيداً عن سطوة الأمويين ، ولذلك بدأوا يتطلعون إلى الأماكن البعيدة ، إلى عمان واليمن والمغرب[12] .

هذا ما أوردته كتب الأباضية عن قيام المذهب . أما المؤلفون غير الأباضية ، فقد سكت أغلبهم عن هذه الفترة من تاريخ المذهب الأباضي . ولم يعتبر بعضهم تعاليم جابر بن زيد أساساً للمذهب . فقد ذكر ابن سعد أنه « قيل لجابر بن زيد أن الأباضية يزعمون أنك منهم فقال أبرأ إلى الله منهم . . . قيل كان بريئاً مما يقولون وكان الأباضية

(١١) محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، ص ١٥٠ .
(١٢) الحارثي العماني ، العقود الفضية ، ص ١٤٢ ، ١٤٩ .

ينتحلونه[١٣] وترتبط هذه الجماعة قيام المذهب الأباضي بعبد الله ابن أباض المري التميمي[١٤] .

ولم تعدنا المؤلفات بترجمات وافية لعبد الله بن أباض ، حتى كتب الأباضية أوردت ترجمات مختصرة جداً إذا ما قورنت بترجمة جابر بن زيد ، مما يؤكد قلة المعلومات المعروفة عنه . وقد ذكر الدرجيني[١٥] والشماخي[١٦] ، جابر بن زيد ضمن علماء الطبقة الثانية الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري . وأوردت هذه المصادر أنه عاش في البصرة واشترك في الدفاع عن مكة متضامناً مع ابن الزبير ضد يزيد بن معاوية . وقد كانت له مكانة بارزة في بلاط الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وكان يسدي له النصح .

---

(١٣) ابن سعيد ، الطبقات الكبرى (بيروت ، دار صادر ١٩٥٨) ج ٧ ص ١٨١ .

(١٤) انظر الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل (القاهرة ١٩٦٨) ص ١٣٤ ، البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين (القاهرة بدون) ص ١٠٣ .

(١٥) الطبقات ، ج ٢ ص ٢٠١ .

(١٦) السير ، ص ٧٧ .

وتاريخ وفاة عبد الله بن أباض غير مؤكدة[١٧] ، والمتفق عليه أنه كان عائشاً في النصف الأخير من القرن الهجري الأول . فهل كان حياً حين وفاة جابر بن زيد ؟ ليس هنالك تأكيد رغم رواية الشهرستاني التي ذكر فيها خروجه على الخليفة الأموي ابن محمد (١٢٧ / ١٣٢ هـ - ٧٤٤ / ٧٤٩ م)[١٨] ولا يبدو هذا الرأي قوياً لأن هنالك رواية أخرى وردت على لسان عبد الله بن أباض رداً على سؤال وجه إليه « هذا ما أدركنا عليه نبينا »[١٩] فهو على ذلك كان صحابياً في سن تسمح له بإدراك الأحداث ونقلها عن النبي ﷺ .

ويبدو معقولاً أن نرجح وفاة ابن أباض في نهاية القرن أول الهجري لأنه لم يخلف أستاذه جابر بن زيد في زعامة المدرسة ، بل أسندت إلى أبي عبيدة ، بينما اشتهر أتباع المدرسة باسم عبد الله بن أباض وعرف المذهب باسمه فأطلق عليه المذهب الأباضي . ويوضح هذا أنه كان من العلماء

---

(١٧) ذكر الحارث العماني أنه لم يقف على تاريخ ولادته ووفاته . انظر العقود الفضية ، ص ١٣٨ .

(١٨) الشهرستاني ، ج ١ ص ١٣٤ .

(١٩) الحارث العماني ، العقود الفضية ص ١٣٨ .

البارزين فكان « إمام أهل العراق . . وهو العمدة في الاعتقاد »[٢٠] . « وله مناظرات كثيرة مع الخوارج »[٢١] « وكان المناضل علناً في سبيل تحقيق الحقائق وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع »[٢٢] .

الأباضية والخوارج :

أدرجت أغلب المؤلفات العربية القديمة[٢٣] الأباضية تحت قائمة فرق الخوارج . ورغم كثرة الأحياء الواردة في تلك المؤلفات عن ثورات الخوارج وما قاموا به من أعمال تخرجهم في كثير من الأحداث عن حدود الدين الإسلامي ، فإنه لم يرد أن جابر بن زيد الإمام الأول خرج على الدولة أو حرص

---

(٢٠) الدرجيني ، الطبقات ، ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢١) الشماخي ، السير ، ص ٧٧ .

(٢٢) ابن سعيد الشماخي ، القول المتين . انظر علي يحيى معمر - الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الأولى ، ص ١٥٠ .

(٢٣) انظر ابن قتيبة ، المعارف ص ٥٤٣ . البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ١٠٣ الشهرستاني ج ١ ص ١٣٤ . السعودي ، مروج الذهب (بيروت ، دار الأندلس ، ط ثانية ١٩٧٣) ج ٣ ص ١٠٠ - ابن حوقل ، صورة الأرض (ليدن ١٩٦٧) ص ٩٧ - ابن الأثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣١٣ ، ابن خلدون ، العبر (بيروت ، مؤسسة الأعلمي للطباعة ١٩٧١) ابن غراري المراكشي ، البيان ، المغرب ، ص ٢٨٧ .

على الخروج ، كما أن عبد الله بن أباض لم يقم بذلك ، وكل ما ورد عنه هو انضمامه إلى جنود ابن الزبير ، مدافعاً عن الحرم الشريف[24] وكان أبو عبيدة يهدىء أتباعه ويمنعهم من الخروج . ويشير ذلك إلى الفرق الواضح بين الأباضية وفرق الخوارج منذ البداية .

والأباضية لا يمنعون الخروج على السلطان الجائر بل يقولون بجوازه ، فإن خشي أن يكون في الخروج مضرة على الأمة أكثر مما هو واقع عليها فالاستسلام أولى[26] ، وقد تصدى عبد الله بن أباض إلى مجادلة الخوارج ومناظرتهم[26] وناضل في سبيل « تصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات والبدع[27] فمذهب الأباضية في تناوله لقضايا السياسة أو العقائد يختلف اختلافاً واضحاً عن الخوارج .

---

(٢٤) باستثناء رواية الشهرستاني السابقة التي ذكرت خروجه في آخر العصر الأموي .

(٢٥) بصدد هذه المسائل راجع ـ علي يحيى معمر ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ والأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ص ٣٠ .

(٢٦) الشماخي ، السير ، ص ٧٧ .

(٢٧) انظر ، علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الأولى ، ص ١٠٥ .

ويتفق في كثير من أصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنة ، فقال عنه ابن حزم هو « أقرب إلى أهل السنة من بقية الفرق الأخرى »[٢٨] .

واللقاء الواضح بين الأباضية وفرق الخوارج تمثل في عدم التزامهم بشرط القرشية في الخلافة . وهذا ما أدى بجمهرة المؤلفين إلى النظر إليهم بمنظار واحد . حتى التعريف الذي ذكره الشهرستاني للخوارج جاء عاماً ، بحيث يدخل فيه أي ثائر على الدولة . فكل « من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان يعدهم على التابعين بإحسان . والأئمة في كل زمان[٢٩] وبطبيعة الحال فإن « الإمام الحق » أمر يصعب البت فيه . فأين عباس وكبار الصحابة أنفسهم كانوا يعتزلون ويقفون بعيداً دون توجيه الناس للإمام الحق ، فمثلاً هل كان الإمام يزيد بن معاوية أم ابن الزبير . وأي جماعة تلك التي توافق عليه هل كانوا أهل المدينة أم أهل دمشق ؟

---

(٢٨) ابن حزم .

(٢٩) الشهرستاني ، ج ١ ص ١٤٤ .

وقد جاء تعريف ابن خلدون أكثر تحديداً للخوارج ، فجعلهم « أولئك الذين لا يلتزمون بشرط القرشية في الخلافة »[٣٠] وتبعاً لمقياس ابن خلدون اعتبر الأباضية جزءاً من الخوارج » ، دون اعتبار لأوجه الخلافات الأخرى . وقد تصدى الأستاذ علي يحيى معمر في مؤلف ضخم للرد على « كتاب المقالات في القديم والحديث » مبيناً البون الشاسع بين الأباضية وفرق الخوارج حتى في القضايا السياسية فضلاً عن العقائد[٣١] .

الأباضية في المغرب :

بعد أن تأكد لأبي عبيدة أن قيام الدولة العادلة أمر صعب التحقيق تحت رقابة الأمويين الصارمة ، بدأ في إرسال دعاته إلى المناطق النائية ، ووقع اختيار أبي عبيدة على سلمة بن

---

(٣٠) المقدمة ، تحقيق عبد الواحد وافي (القاهرة ، لجنة البيان العربي ط ٢) ج ٢ ص ٦١٤ .

(٣١) هو كتاب : الأباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث .

(٣٢) الدرجيني ، الطبقات ، ج ١ ص ١١ ، ذكر اسمه « سلامة وليس » سلمة ، كما هو في المؤلفات الأخرى ، أنظر الشماخي ، السير ، ص ٩٨ .

سعيـد للتوجـه إلى المغرب في أول القـرن الثـاني للهجـرة[٣٢] وكان المغرب أرضـاً صالحـة للدعوة ضـد الأمويـين ، فوجـد سلمـة تشجيعاً لم يكن يتـوقعه خـاصة وأن الـبربر وجـدوا في دعوة الأباضية المساواة التي حرمهم منها الأمويون فقـام سلمة بنشـاط كبير بـين قبيلتي هوارة ونفـوسة وتـأكد بـأن ما يحلم بـه أستاذه يمكن تحقيقه في المغرب ، فكان يقول « وددت لو يظهر هذا الأمر يوماً واحداً ، فما أبالي أن تضرب عنق »[٣٣] .

إلى جـانب المذهب الأبـاضي كـان المـذهب الصفـري قـد انتشر في داخل المغرب ، وسرعـان ما أصبـح أتباع الفـريقين من القوى المعارضـة الواضحـة والهامـة في المغرب منـذ العقد الثـاني من القرن الثـاني الهجري[٣٤] وقـادت فرقـة الصفرية الثـورة الكـبرى التي انـطلقت من طنجـة عـام ١٢٢ هـ (٧٣٩ م) ، ثم بدأت تحركات الأباضيـة منذ عـام ١٢٧ هـ (٧٤٤ م) ، ولم يستكينـوا بعدهـا حتى تأسست دولتهم عـام ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) .

---

(٣٣) الدرجيني ، نفس المرجع السابق .

(٣٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١٠ .

مراحل قيام الدولة :

المرحلة الأولى : محاولة الحارث وعبد الجبار (١٣١ هـ - ٧٤٨ م) :

تمكن عبد الرحمن بن حبيب من فرض نفسه على ولاية أفريقية وطرد الوالي الأموي من القيروان ، وسعى إلى بسط سيطرته على أطراف الولاية الثائرة ، وعندما وصل والي عبد الرحمن إلى طرابلس ، حاول إرهاب الأباضية في المنطقة فقتل زعيمهم عبد الله بن مسعود[٣٥] ، وجاء رد الفعل على خلاف ما كان يريده الوالي ، فقد تجمع الأباضية تحت زعامة الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي[٣٦] لمهاجمة طرابلس . وفشلت محاولة عبد الرحمن بن حبيب لتهدئة الموقف بعزل واليه على طرابلس ، وتمكن الثوار من فرض سيطرتهم على المدينة ، عام ١٣١ هـ - ٧٤٨ م ، بعد أن حققوا ثلاث انتصارات متتالية على قوات عبد الرحمن بن

---

(٣٥) احسان عباس ، تاريخ ليبيا (بنغازي - دار ليبيا للنشر ، ط أولى ١٩٦٧ م) ص ٤٣ .

(٣٦) الشماخي ، السير ص ١٢٥ - ذكر أن أحدهما إمام والآخر قاضيه أو وزيره .

حبيب(٣٧) .

تمكن الأبـاضيـة في أول محـاولـة عسكـريـة أن يحققـوا الانتصار ، لكن هذا الانتصـار لم يدم طـويلاً ، فقـد فوجئت جماهير الأباضية بموت قائديها في ظروف غامضة ، فالـدرجيني رجـح أن يكونـا قد قتـلا « ووضع سيف كـل واحد منهـما في جسم الآخر للفتنة(٣٨)» . وبعـد هذه الحـادثة اختـار الأباضيـة لزعامتهم إسـماعيل ابن زيـاد النفوسي ، لكن عبـد الرحمن بن حبيب تمكن من استغـلال تلك الـظروف وألحق بهم الهـزيمـة وقتل إسماعيل بن زياد(٣٩) .

انهارت آمال الأباضية في قيام الدولة . ولم يثن هذا الفشل عزيمة سلمة بن سعيد ، بل رأى ضرورة توسيع قاعدة الدعوة وإعـداد الخـطة لـذلـك إعـداداً دقيقـاً ، بـدأ سلمـة في حث الشبـاب الأباضي للتـوجه إلى المشرق للتزود بـالعلم عـلى يـد

---

(٣٧) سعـد زغلول عبد الحميـد ، تاريـخ المغرب العـربي (القاهـرة دار المعارف بدون) ص ١٩٠ .

(٣٨) الطبقات ، ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ . وذكر ابن الأثير أن عبد الرحمن بن حبيب هو الذي قتلهما ، الكامل ج ٥ ص ٣١٣ .

(٣٩) سعد زغلول ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٢ .

أستاذ المذهب أبي عبيدة . فأرسل في اول الأمر محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجناوني من جبل نفوسة[٤٠] . ثم تلى ذلك بعثة العلم التي كان اختيارها دقيقاً مثلت مناطق مختلفة في المغرب ـ القيروان والمغرب الأوسط والجنوب التونسي ، وغدامس ـ اختير لها عبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبو داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن ضرار الغدامسي ، غادرت البعثة المغرب إلى البصرة عام ١٣٥ هـ وانضم إليهم هناك أبو الخطاب عبد العلي بن السمح المعافري[٤١] .

المرحلة الثانية : محاولة ابن الخطاب (١٤٠/ ١٤٤ هـ ـ ٧٥٧/ ٧٦١ م) :

عاد أفراد البعثة من البصرة يصحبهم أبو الخطاب عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) بعد أن أعدوا إعداداً تاماً لتركيز دعائم المذهب في المغرب والعمل على تأسيس الدولة . وتعاهد القادة على التعاون واستقر رأيهم على أن تكون طرابلس نقطة البداية . وقد هيأت فترة عدم الاستقرار التي عاشتها المغرب طيلة العقد الرابع من القرن الهجري الثاني المناخ لزعماء

(٤٠) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ص ١٨٨ .

(٤١) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ص ١٨٩ ، ١٩٥ .

الأباضية بالتحرك . ولما علم الأباضية في المغرب بترشيح أبي عبيدة لأبي الخطاب إماماً للدولة المرتقبة ، اجتمع زعماؤهم في قرية صياد بالقرب من طرابلس وبايعوا أبا الخطاب إماماً واتفقت كلمتهم على دخول طرابلس[٤٢] .

دخلت قوات الأباضية طرابلس خلسة وتمكنوا من السيطرة عليها بغير عناء عام ١٤٠ هـ وأعلنوا قيام الدولة ، وكان أبو الخطاب قوي الشخصية واسع الثقافة غزير العلم سعى إلى وضع أسس قوية للدولة مسترشداً بهدى الخلافة الراشدة[٤٣] ، وبسيطرة الأباضية على طرابلس خضعت لهم المنطقة الشرقية حتى سرت ومنطقة جبل نفوسه . ثم بدأ في التوجه نحو المغرب وذلك لأن فرقة الصفرية تمكنت من السيطرة على القيروان ـ وكان سلوك الصفرية على نقيض الأباضية في طرابلس « فاستحلوا المحارم وارتكبوا الكبائر . . . وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع »[٤٤] ،

---

(٤٢) الدرجيني ، الطبقات ، ج ١ ص ٢٣ .
(٤٣) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .
(٤٤) ابن غزاري المراكشي ج ١ ص ٧٠ (ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ١١٣) .

« واستبيحت الأموال والدماء بدون حساب »[٤٥] ، فضج المسلمون واستنجدوا بأباضية طرابلس .

ولما كان أبو الخطاب يعمل لتأسيس جمهورية إسلامية يسود فيها العدل وتطبيق مبادىء الإسلام فقد عقد العزم على حرب الصفرية .

سار أبو الخطاب بجنوده نحو القيروان واحتل قابس التي كان الصفرية قد استولوا عليها ، ثم واصل زحفه على القيروان وتمكن من هزيمة الصفرية ، ودخل القيروان عام ١٤١ هـ (٧٥٨ م)[٤٦] ، وضرب أبو الخطاب المثل الأعلى في حروبه ، إذ لم يحدث ما اعتاد أهل القيروان مشاهدته بعد نهاية الحروب . فلم تمتد يد جنوده إلى جثث أعدائهم والتزموا بحدود الانتصار فلم يسلبوا ميتاً ولم يتعرضوا لسكان القيروان وأموالهم ، وكان لذلك السلوك وقع حميد في نفوس سكان المنطقة ، تولى عبد الرحمن ابن رستم إدارة القيروان

---

(٤٥) علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ص ٣٤ .

(٤٦) الدرجيني ، الطبقات ج ١ ص ٢٩ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١٣ .

ورجع أبو الخطاب إلى طرابلس[٤٧] ، أما الصفرية فقد اتجهوا إلى المغرب الأقصى حيث استقروا هناك واختطوا مدينة سجلماسة التي أصبحت مركزاً لتجمعاتهم[٤٨] .

توسعت بذلك حدود دولة أبي الخطاب ، إذ امتدت إلى منطقة وهران غرباً . وقد ضمت حدود دولته في الجنوب منطقتي ودان وزويلة . أزعج قيام دولة أبي الخطاب الدولة العباسية ، خاصة وأن جنودها ظلوا في المغرب الأوسط . ولو لم تعجل بعمل عسكري ستتمكن الدولة الأباضية من السيطرة على المغرب الأوسط ، بحيث يمكنها أن تشكل خطورة ليس في المغرب فحسب بل وفي مصر أيضاً . وبدأت الجيوش العباسية تتحرك من مصر للقضاء نحو أبي الخطاب الذي تمكن من هزيمة جيشين أرسلهما ابن الأشعث قبل أن يصلا إلى طرابلس[٤٩] .

أدرك الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور خطورة الموقف ، فوجه ابن الأشعث إلى المغرب . أعد ابن الأشعث جيشاً

---

(٤٧) الدرجيني ، نفس المكان .

(٤٨) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ص ٢٣٤ .

(٤٩) المرجع نفسه ص ٨ .

كبيراً قدر بثلاثين أو أربعين ألفاً من جند خراسان والشام . وأعد أبو الخطاب بدوره جيشه الذي قدر بنحو ٩٠ ألفاً[٥٠] وقد ساعدت الظروف ابن الأشعث في ميدان القتال ، وذلك لتفرق جنود ابن الخطاب ، أما باختلاف قبيلتي زناته وهواره وانسحاب الأولى من القتال[٥١] أو بخديعة ابن الأشعث وإعلانه الرجوع لعدم إعداد جيشه العدة التي تمكنه من مواجهة ابن الخطاب[٥٢] . تمكن ابن الأشعث من هزيمة الأباضية في تورغا عام ١٤٤ هـ (٧٦١ م) وقتل أبو الخطاب في المعركة . كما هزم ابن الأشعث أيضاً مجموعة زناة التي هبت لنجدة أبي الخطاب ، فانهارت بذلك آخر مقاومة ودخل ابن الأشعث طرابلس ، ولما أحس عبد الرحمن بن رستم بأن ميزان القوى ليس في جانبه انسحب من القيروان غرباً . وتركزت تجمعات الأباضية بعد ذلك في زويلة وجبل نفوسة ومنطقة تيهرت .

---

(٥٠) الدرجيني ، الطبقات ج ١ ص ٣٢ . قدر ابن غزاري المراكشي جنود ابن الأشعث بأربعين ألفاً وجنود أبي الخطاب بمائتي ألف . انظر : ابن غزاري ، ج ١ ص ٧١ ، ٧٢ .

(٥١) انظر التفاصيل من عبد اللطيف البرغوثي ، تاريخ ليبيا القديم ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٥٢) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ، صفحات ١٣ ـ ١٩ .

الأباضية في فزان (إمارة بني الخطاب) :

كانت قبيلة هوارة مستقرة على الساحل في المنطقة الواقعة بين سرت شرقاً حتى غربي طرابلس . وفي الداخل انتشرت إلى الشرق والجنوب من جبل نفوسة . وبعد هزيمة أبي الخطاب بدأوا ينسحبون نحو الجنوب بعيداً عن قبضة الوالي العباسي . ويبدو أن ابن الأشعث أحس بخطورة تجمعهم في منطقتي ودان وزويلة ، فأرسل إليهم جيشاً في عام ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) تمكن من إيقاع الهزيمة بهم في ودان . وواصلت القوة زحفها إلى فزان حيث تمكنت أيضاً من هزيمتهم وقتل زعيمهم الأباضي عبد الله بن حيان[٥٣] لكن ابن الأشعث لم ينجح في إخضاع منطقة فزان لسيطرته رغم نجاحه العسكري ، فقد تزعمت أسرة بني الخطاب الهوارية الأباضية ، وتمكنت من تأسيس إمارة مستقلة عرفت بإمارة بني الخطاب واتخذت من زويلة عاصمة لها . فتأسيس الإمارة حدث بعد عام ١٤٥ هـ وليس عام ١٤٤ هـ[٥٤] .

---

(٥٣) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ٧٢ .

(٥٤) وضع مارتت قيام هذه الامارة بعد هزيمة أبي الخطاب مباشرة عام ١٤٤ هـ . انظر :

Martin, B.G. «Kanim, Bornu and Fazzan , notes on Political History of a Trade Route» Journal of African History, (Vol. X No. 1969) p. 18.

قويت إمارة بني الخطاب فسيطرت على واحات فزّان وقامت بدور طليعي في ربط المنطقة بتجارة الصحراء ، واشتهرت زويلة في هذا العصر كمركز تجاري هام سيطر على الطريق الصحراوي الشرقي الذي يمر عبر كوار نحو بحيرة تشاد ، ونهر النيجر ، وقد ارتبطت زويلة عبر هذا الطريق بمصادر ثروات السودان وتجمع فيها التجار من « كل جهة ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم »[٥٥] .

حافظت الإمارة على استقلالها حتى قيام الدولة الرستمية في يتهرت فدخلت ضمن حدودها[٥٦] وبعد سقوط الدولة الرستمية في آخر القرن الثالث الهجري استقلت الإمارة مرة أخرى تحت زعامة نفس الأسرة حتى قضى عليها عام ٥٦٨ هـ قراقوشي الغزي الناصري مملوك تقي الدين أخ صلاح الدين[٥٧] .

المرحلة الثالثة : قيام الدولة الرستمية (١٦٠ ـ ٢٩٦ هـ) :

بعد هزيمة أبي الخطاب وانسحاب عبد الرحمن بن رستم من القيروان في اتجاه الغرب ، أحس عبد الرحمن بن رستم بضرورة تعديل الخطة التي اتفق عليها مع زملائه في جعل

(٥٥) الاصطخري ، مسالك الممالك (ليدن ١٩٠٦) ص ٤٦ .
(٥٦) اليعقوبي ، كتاب البلدان (ليدن ١٨٩١) ص ٣٤٦ .
(٥٧) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٤٣ .

طرابلس نقطة الانطلاق لتأسيس الدعوة . فطرابلس تقع بين مركزين هـامين للدولـة العباسيـة هما مصر والقـيروان ، وقيام أي قوة مناوئة للخلافة بين هاتين النقـطتين يعني ضيـاع ولاية أفريقية . ولذلك بدأ عبد الرحمن بن رستم يمهد الاستقرار في المغرب الأوسط . ويؤيد ذلك تأسيسه لمدينـة يتهرب منـذ عام ١٤٧ هـ (٧٦٤ م)[٥٨] .

اتسعت المدينة في الفـترة التي أعقبت تأسيسهـا حتى إعلان قيام الدولة في عام ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) وازداد عمرانها بتوافد الأبـاضية عليهـا ولـذلـك ذهبت بعض الروايـات إلى تأسيس المدينة عـام ١٦٠ هـ[٥٩] فقد اتجـه عبد الـرحمن بن رستم منذ أن غادر جبل فحج ، جنوب تيهـرت والذي التجـأ إليه أمـام قوات ابن الأشعث ، اتجه إلى مـوضع تيهـرت واتخذهـا مقراً لـه . وليس هنـالـك سبب يجعـل استقـراره مؤقتـاً في تلك المنـطقة ، بحيث لا يشرع في تـأسيس المـدينـة . وممـا يؤكـد اتساع المدينة قبل إعلان الدولة خروج عبـد الرحمن بن رستم منها في خمسة عشر ألف أباضي للمشاركة في حصار طبنـة عام

---

(٥٨) هـذه رواية ابن خلدون ، وهنـالـك روايـة تجعـل تـأسيس المـدينـة لاحقاً .

(٥٩) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ١٩٦ .

١٥١ هـ (٧٦٨ م)[٦٠] .

كانت الدولة العباسية تسعى لتقوية قبضتها في المغرب الأوسط ، فبدأت في تحصين مدينة طبنة في الذاب لاتخاذها مركزاً يساعد القيروان في ضرب الثوار . وشعر الصفرية بخطورة تحصين طبنة وكانوا قد بايعوا منذ عام ١٤٨ هـ (٧٦٥ م) أباقره بالخلافة[٦١] ، ولذلك قرروا مهاجمة طبنة واستنفروا الأباضية . فالتف « أمراء القبائل من كل فج واجتمعوا في إثني عشر ألف عسكراً توجهوا إلى الذاب . وكان أمراء المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤهم أبو قرة الصقري في أربعين ألفاً وعبد الرحمن بن رستم الأباضي في خمسة عشر ألفاً ، وأبو حاتم في عدد كثير[٦٢] .

(٦٠) يرجح سعد زغلول أن مدينة تيهرت أسست بعد فشل عبد الرحمن بن رستم في العودة إلى أفريقية عام ١٥١ هـ ، وهو التاريخ الذي انهزم فيه عبد الرحمن أمام عمرو بن حفص ولكن هذه الهزيمة لا يمكن اعتبارها حاسمة لدرجة أقنعت عبد الرحمن بترك فكرة إيجاد عاصمة في أفريقية لأن طرابلس كانت قد سقطت على يد أبي حاتم وانحصرت بذلك القيروان مما يساعد عبد الرحمن بن رستم في النظر إليها لو كانت لديه فكرة باتخاذ عاصمة في تلك المنطقة . انظر سعد زغلول : تاريخ المغرب العربي ص ٣٧٤ .

(٦١) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١٢ .

(٦٢) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ٧٥ ، انظر كذلك ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٢ .

لم يتمكن الحلف من تحقيق انتصار سريع إذ تمكن عمرو بن حفص ـ والي أفريقية الذي كان في داخل طبنة ـ من إثارة الفتنة بين صفوف الصفرية فانسحبوا من الميدان . ثم انهزم عبد الرحمن بن رستم وتقهقر إلى تيهرت عام ١٥١ هـ (٧٦٩ م) أما أبو حاتم الذي كان يتزعم أباضية طرابلس(٦٣) فقد تمكن من احتلال طرابلس عام ١٥٤ هـ ثم توجه إلى القيروان وفرض عليها الحصار .

قدرعمرو بن حفص وهو في طبنة خطورة الموقف إذا ما سقطت القيروان ، ولذلك خاطر بدخولها رغم الحصار المضروب عليها ، وتمكن من تحقيق ذلك فعلاً . لكن الحصار اشتد على القيروان وأدى سقوط طرابلس إلى توافد الأباضية على القيروان لدرجة جعلت ابن خلدون يبالغ في تقديرهم إذ جعلهم « ثلاثمائة وخمسين ألفاً ، الخيل منهم خمسة وثلاثون ألفاً ، وكانوا كلهم أباضية »(٦٤) ولم تتمكن القيروان من صد

---

(٦٣) ذكرت مصادر الأباضية أن أباضية طرابلس بايعوا أبا حاتم بالامامة وهي « إمامة دفاع وليست إمامة ظهور » ويشير هذا إلى أن أبا حاتم كان يعمل تحت توجيه عبد الرحمن بن رستم . انظر الشماخي ، السير ، ص ١٣٨ ، الدرجيني ، الطبقات ج ١ ص ٣٦ .

(٦٤) ابن خلدون ، العبر ، ج ١ ص ١١٣ .

المحاصرين ، وقتل عمرو بن حفص واستسلمت المدينة فدخلها أبو حاتم عام ١٥٤ هـ (٧٧٠ م) .

تمكن الأباضية مرة أخرى من عزل أفريقية وإنهاء تبعيتها للخلافة المركزية . لكن لم يعقب الاستيلاء على القيروان إعلان قيام الدولة ولم يتحرك عبد الرحمن بن رستم من تيهرت . وربما دل ذلك على إحساسه بضرورة التريث في المغرب الأوسط واتخاذ تيهرت مركزاً لإعلان قيام الدولة(٦٥) وسرعان ما تحركت الدولة العباسية فأعدت قوة قدرت بتسعين ألفاً تحت قيادة يزيد بن حاتم . التقى ابن حاتم

(٦٥) الفترة الواقعة بين هزيمة أبي الخطاب عام ١٤٤ هـ وإعلان قيام الدولة الأباضية في تيهرت غير واضحة التفاصيل فيما يتعلق بالإمامة ، فبينما الاتجاه العام في مؤلفات الأباضية هو إمامة عبد الرحمن بن رستم بعد وفاة أبي الخطاب واتفاقها أن إمامة أبي حاتم كانت إمامة دفاع فقط ، أي ليست إمامة ظهور كإمامة أبي الخطاب ، لم توضح ذلك المؤلفات الكيفية التي تم بها اختيار عبد الرحمن بن رستم إماماً خلفاً لأبي الخطاب . ويؤرخ محمد علي دبوز لقيام الدولة في تيهرت بعام ١٤٤ هـ . وفي ذات الوقت ذكر علي يحيى معمر أن أبا حاتم هو الإمام الثالث الذي بايعه المسلمون في منطقة طرابلس بعد عبد الجبار وأبي الخطاب . انظر : الدرجيني ، ج ١ ص ٣٦ ، ٤٠ - الشماخي ، السير ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ص ٤٢٣ . علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ص ٤٥ .

بطليعة تلك القوة في مغمداس وتمكن من تحقيق انتصار سريع ، لكنه تراجع أمام وصول باقي القوات العباسية والتجأ بجبل نفوسه ، حيث لاحقته جيوش العباسيين فهزم أبو حاتم وقتل عام ١٥٥ هـ (٧٧١ م)[٦٦] . وأعادت الخلافة سيطرتها على ولاية أفريقية .

ظل عبد الرحمن بن رستم في تيهرت أبان حروب أبي حاتم ، وبعد سيطرة القائد العباسي يزيد بن حاتم على القيروان لم يحاول الوصول إليه ، وقنع كلا منهما بالاحتفاظ بما تحت يده . وقد أدت الهزائم التي لحقت بالأباضية في طرابلس وجبل نفوسة إلى ازدياد هجرتهم إلى تيهرت ، خاصة في الفترة التي أعقبت هزيمة أبي حاتم ، وتأكدوا صعوبة الاحتفاظ بولاية أفريقية . واتفقت كلمتهم على إعلان قيام الدولة في المغرب الأوسط وبويع عبد الرحمن بن رستم إماماً لها في تيهرت عام ١٦٠ هـ (٧٧٦ م)[٦٧] .

لم تقم الدولة العباسية بإجراءات عسكرية كبيرة للقضاء

---

(٦٦) ابن غزاري ، المراكشي ج ١ ص ٧٨ .

(٦٧) الدرجيني ، الطبقات ج ١ ص ٤٠ - ذكر تاريخاً آخر لقيامها وهو ١٦٢ هـ ، الشماخي ، السير ، ص ١٣٩ .

على دولة الأباضية كما فعلت من قبل . ففي سنوات قليلة ـ عهدي عمرو بن حفص وأول عهد يزيد بن حاتم ـ خاضت جيوش الدولة العباسية الكثير من الحروب في المغربين الأدنى والأوسط قدرهما ابن خلدون بثلاثمائة وخمسة وسبعين حرباً[٦٨] ولم تثمر تلك الحروب في القضاء على الثورات ، وقد أدى هذا الوضع إلى مراجعة الدولة العباسية لسياستها في المنطقة وركزت على الاحتفاظ بمنطقتي طرابلس والقيروان . ولم تتدخل بعد ذلك في المنطقة غرباً ، إذ قامت دولة الصفرية في سجلماسة في أول العقد الخامس ثم أعلن قيام الدولة الرستمية في أول العقد السابع وقامت دولة الادارسة في أول العقد الثامن ثم قامت دولة الأغالبة ممثلاً للخلافة في أول العقد التاسع ، ودخل إقليم المغرب في مرحلة جديدة من تاريخه .

وأدت مجاورة الرستميين للدولة العباسية التي كانت تسيطر على بعض مناطق تجمعات الأباضية إلى توتر العلاقات بين الجانبين . وفي مطلع العقد الثامن من القرن الهجري الثاني ، أحس عبد الرحمن بن رستم أن الدولة تحتاج إلى فترة هدوء

---

(٦٨) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١١٣ .

يتم فيها تنظيم إدارته . فسعى إلى والي أفريقية روح بن حاتم (٧١/ ١٧٤ هـ ٨٧/ ٧٩٠ م) ونجح في تحقيق ذلك[٦٩] .

لم تكن حدود الدولة الرستمية عند بداية قيامها واضحة في المنطقة الشرقية ، ولم تؤد الهدنة السابقة إلى هدوء العلاقات . فجبل نفوسة الذي تعود دائماً على سلطة العباسيين لم يخرج فقط من تحت لواء ولاية أفريقية بل كان بمثابة المطرقة للخلافة . وتطلع أباضية طرابلس إلى جبل نفوسة لمساعدتهم على الانضمام إلى الدولة الرستمية . وقد كانت الحرب التي خاضها أباضية طرابلس بمساعدة جبل نفوسة وتحت إشراف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فاصلة فيما يتعلق بمصير أباضية طرابلس . إذ قنعت دولة الأغالبة بالسيطرة على مدينة طرابلس أما ما حولها من مناطق الأباضية فقد صارت تابعة للدولة الرستمية .

وضح الاتفاق السابق حدود الرستميين الشرقية التي امتدت حتى سرت شرقاً ، أما في الغرب فلم تمتد حدودها بعيداً عن تيهرت فلم تتعدى واد شلف[٧٠] وقد امتدت

---

(٦٩) المرجع نفسه والجزء ص ١٥٤ .

(٧٠) سعد زغلول ، مرجع سبق ذكره ص ٣٩٦ .

حدود الدولة جنوباً فشملت واحات فزان. حيث ضمت إمارة بني الخطاب كما ضمت جبل نفوسة وبلاد الجريد . وانضم إلى الدولة الرستمية أباضية جزيرة جربة ، بينما ظلت مجموعة كبيرة من الأباضية داخل القيروان وكان لهم مفتيان على مذهبهم في النصف الأول من القرن الثالث الهجري(٧١) .

لم يكن للإمام - الذي يجري اختياره بانتخاب حر مباشر - سلطة مباشرة تفرضها الحكومة المركزية على المناطق التابعة للدولة . فكان ارتباط فزان وجربة وجبل نفوسة بتيهرت ارتباطاً روحياً أكثر منه سياسياً . ولم تقم الدولة الرستمية بفرض الضرائب على رعاياها واكتفت بالزكاة فقط . وقد وفرت الدولة الحرية لكل المذاهب الإسلامية(٧٢) .

علاقات الدولة الرستمية الخارجية :

ظلت الصلة قوية بين أباضية المشرق وأباضية المغرب . وكان علماء تيهرت ونفوسة وجربة يحترمون إخوانهم في الشرق ويعتبرونهم الأساس الذي قام عليه المذهب . وكان علماء

(٧١) علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، القسم الثالث ص ٤٧ .

(٧٢) المرجع المذكور ص ٢١١ .

المغرب يلتمسون المشورة في كثير من أمور دينهم ودنياهم من أئمة المشرق ويحترمون آرائهم وينفذون نصائحهم . فقد احتكم الإمام عبد الوهاب بن رستم والمنشقين عليه إلى الإمام الربيع بن حبيب في البصرة ، وأقنعت إجابته جانباً كبيراً من المعارضين وكان أباضية المشرق بدورهم يولون اهتماماً كبيراً بالدولة في المغرب ويدعمونها ويراقبون مدى التزام ولاتها وتقيدهم في حكمهم بالدين وتعاليم المذهب[٧٣] .

وارتبط الأباضية كذلك بعلاقات قوية مع الصفرية في سجلماسة . ويبدو أن الصفرية قد اعتدلوا كثيراً وحدث تقارب كبير بين المذهبين حتى تبع الكثير من الصفرية المذهب الأباضي[٧٤] وقد أدى هذا التقارب إلى عدم التميز بين الفرقتين في بعض الأحيان ، كما فعل ابن خلدون عندما تحدث عن أبي القاسم سمكد بن واسول أمير سجلماسة بأنه كان «أباضياً صفرياً»[٧٥] . وقد ازدادت العلاقات قوة بين الدولتين عندما زوج عبد الرحمن بن رستم ابنته إلى مدرار ابن

(٧٣) الحارث العماني ، مرجع سبق ذكره ص ١٥٤ .

(٧٤) علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ص ٤٧ .

(٧٥) ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ١٣٠ .

اليسع حاكم سجلماسة[٧٦] .

أما دولة الأغالبة الممثلة للخلافة العباسية في المغرب فقد كان طابع العلاقات العام معها ـ رغم العداء التقليدي ـ هو المهادنة . فقد قنع الأغالبة بما تحت أيديهم في أفريقية واتجهوا إلى التوسع في البحر المتوسط وبعد حرب عام ١٩٦ هـ (٨١١ م) والتي وضحت الحدود بين الدولتين في منطقة طرابلس اتخذت العلاقات طابعاً سلمياً ، وكان التعاون في ميدان التجارة واضحاً إذ كانت كل علاقات الأغالبة التجارية عبر الصحراء تمر عبر مناطق نفوذ الرستميين الذين سيطروا على كل مراكز تجارة القوافل العابرة للصحراء جنوباً نحو السودان . وقد حدث التعاون أيضاً بين الدولتين عندما تعرضت المنطقة لهجوم العباس بن أحمد بن طولون عام ٢٦٧ هـ (٨٨٥ م) فقد تصدت له قوات نفوسة[٧٧] .

وقبيل سقوط الدولتين الرستمية والأغلبية حدث صدام بين إبراهيم بن أحمد بن الأغلب وأباضية نفوسة أورد الدرجيني تفاصيله ، فذكر أن الخليفة العباسي المتوكل عزم

---

(٧٦) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ٥٧ .
(٧٧) المرجع المذكور ، نفس الجزء ، ص ١١٨ ، ١٢٩ .

على الهجوم على تيهرت ، وأعد لذلك جيشاً وضعه تحت قيادة إبراهيم بن أحمد . اعترضت نفوسة طريق الجيش ولم تسمح له بالمرور إلى تيهرت فوقعت معركة كبرى انتهت بهزيمة نفوسة في موقعة مانوا عام ٢٨٣ هـ (٨٩٦ م) ، قتل فيها ١٢ ألف من الأباضية[٧٨] . وقد أثرت هذه الحرب على قوة الأباضية من بين الأسباب التي أدت إلى سرعة تسليمها للدولة العبيدية .

وقد توطدت العلاقات بين الرستميين والأمويين وزاد في توطيدها وقوف الدولة الرستمية أمام أطماع الدولة العباسية في المغرب . وظلت الصلات طيبة بين قرطبة وتيهرت وكانت السفارات دائمة بينهما تحمل الهدايا والتهاني خاصة عند انتصار المسلمين على أعدائهم في الشمال . ولم تنحصر تلك العلاقات في إطار المجاملات الدبلوماسية فقط ، بل تعدتها إلى جوانب أخرى ، فقد أسهمت الجالية الأباضية في الأندلس بدورها في الحياة العامة ، كما شارك بعض أفراد البيت الرستمي في الحياة السياسية في بلاط قرطبة إذ تولى حفيدين لعبد الرحمن بن رستم الوزارة والحجابة لدى

---

(٧٨) الدرجيني ، الطبقات . ج ١ صفحات ٨٧ ـ ٨٩ .

عبد الرحمن بن الحكم وعبد الرحمن الثاني[79] ، كما كان للجالية الأندلسية في تيهرت آثارها على الحياة الثقافية والتجارية في الدولة الرستمية . وكانت الدولة الرستمية تمثل الجسر الذي ربط الأندلسيين بالمشرق الإسلامي[80] .

وكانت ارتباطات الأباضية قوية مع مراكز وممالك السودان قبل قيام الدولة الرستمية ، فكانت إمارة بني الخطاب الأباضية في زويلة دائمة الاتصال بغرب أفريقية عبر الطريق الشرقي من الصحراء الكبرى . وبعد قيام الدولة الرستمية انتظمت تلك العلاقات خاصة وأن الأباضية في عهد الرستميين سيطروا على كل مداخل الصحراء ما بين سجلماسة وزويلة . ولم تنحصر العلاقات على قوافل التجارة فقط ، بل كانت السفارات تتردد بين تيهرت وملوك السودان ، وقد أسهبت مصادر الأباضية في وصف زيارة ابن عرفة للسودان في عهد الإمام أبي بكر بن أفلح ٢٤٠ -

---

(٧٩) ماريا خيسوس فيغيرا . « محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة » العدد ٤٥ . صفحات ٦١ ، ٦٥ ، ٧١ .

(٨٠) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، العصر الإسلامي (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦ م)، ج ٢ ص ٥٧٠ ، ٥٧١ .

٢٤١ هـ (٨٥٤ - ٨٥٥ م)[٨١] كـانت البيوت التجـاريـة في جبل نفوسة ترتبط - أيضاً - بعلاقات قوية مع مراكز السـودان التجارية .

أدت تلك العـلاقات إلى إسهـام الأباضيـة بنصيب كبير في انتشـار الإسلام في السـودان . وذلك لأن الإسـلام صـاحب التجارة ، فقد كان التجار يمثلون الطلائع التي وصلت بالدين الإسلامي إلى كل المناطق الواقعة جنوبي الصحـراء الكبرى . إلى جانب ذلك كان الأباضيـة يعتمدون عـلى مجموعـة عرفت تحت إسم أهــل الــدعــوة ، كــانت مهمتهــا نشر الــدين الإسلامي . وكان أهل الدعوة يصحبون القوافل إلى السودان لأداء مهمتهم .

ولم ينته ذلك النشاء بسقوط الدولة الرستمية بـل استمرت مـراكز الأبـاضية في ورجـلان وجبل نفـوسـة تمـارس التجـارة وتقوي صلاتها بالسودان . وقد نزحت مجموعات من الأباضية واستقرت جنوب الصحراء مما سـاعد في تقـوية صـلات تلك المنـاطق بالشـمال . وقـد أشـار ابن بـطوطـة إلى إحـدى تلك

---

(٨١) T. Lewieki, «L'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le Soudan occidental a la fin du VIII et au IX siecle» Cahiers d'Etudes Africaines. (Vol. II, 1962), P.P 523- 526.

المجموعات التي استقرت جنوباً والاتا بالقرب من نهر النيجر[٨٢] .

الأسرة الرستمية :

حافظت الأسرة الرستمية[٨٣] على الإمامة في تيهرت حتى نهاية الدولة رغم أن المذهب الأباضي لا يعترف بالوراثة في الحكم ، وقد سبب ذلك ظهور بعض الجماعات المعارضة التي حملت السلام ضد الأسرة الرستمية . وقد استندت الأسرة إلى الرأي الذي يقول بجواز ولاية المفضول مع وجود الأفضل ، « إذ وجدت في المفضول مزايا ترجحه ليست للأفضل »[٨٤] وبالطبع فإن الأئمة لم يرثوا الامامة بالتعيين أو ولاية العهد ، بل كان يتم اختيارهم عن طريق مجلس

---

(٨٢) ابن بطوطة ، الرحلة ، (بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٤ م) ص ٦٨٠ .

(٨٣) يرجع نسب عبد الرحمن بن رستم إلى ملوك الفرس . فجده الخامس هو بابك ذو الأكتاف الملك الفارسي . وقد أسلم جد عبد الرحمن وحسن إسلامه ، واعتنى بتربية ابنه رستم تربية إسلامية . توفي والد عبد الرحمن أثناء تأديته فريضة الحج وكانت تصحبه زوجته وابنه عبد الرحمن صغيراً . وتزوج أحد الحجاج من القيروان والدة عبد الرحمن وأحضرهما إلى المغرب . انظر ، محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره ص ٢٩٠ ـ ٣٠٠ .

(٨٤) علي يحيى معمر ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ، ص ٢٦٢ .

الشورى المكون من العلماء الكبار ذوي الشخصيات البارزة في الدولة .

تعرضت الأسرة الرستمية إلى أول معارضة بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم ، فقد ترك أمر الإمامة شورى بين سبعة من كبار العلماء بينهم ابنه عبد الوهاب وأبو قدامة يزيد بن فندين . واتفقت الجماعة على بيعة عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، غير أن ابن فندين اشترط لعبد الوهاب « ألا يقضي في شيء دون مشورة جماعة مخصوصة من الناس »(٨٥) فأجابه أحد العلماء « لا تعلم في الولاية شرطاً غير أن يحكم فينا بكتاب الله وسنة نبيه »(٨٦) وتمت البيعة دون أن تثير جدلاً .

كان ابن فندين يرى في نفسه الكفاية والقدرة ، وبدأ في إثارة الناس زاعماً أن الإمامة باطلة لأن عبد الوهاب لم ينفذ الشرط الذي شرط عليه وقت البيعة وهو استشارة جماعة خاصة . وحدث الخلاف بين الناس وأرسلوا إلى إمام الأباضية بالبصرة الربيع بن حبيب يستفتونه . استمر هذا

---

(٨٥) كانت مهمة مجلس الشورى إعادة الإمام في سياسته ومراقبته .
(٨٦) الدرجيني ، الطبقات ، ج ١ ص ٤٧ .

الخلاف شخص آخر من الأباضية كان مقيماً بمصر وهو أبو المعروف شعيب ابن معروف وكان قد اختلف مع أبي عبيدة في مسألة القدر . حضر أبو المعروف إلى تيهرت ليلفت انتباه الناس إليه طامعاً في الإمامة[٨٧] .

وانضم أبو المعروف إلى ابن فندين . ولما كان غرضهما هو الوصول إلى الحكم ، فقد ألبا الناس قبل وصول الفتوى من البصرة لعلهما بأنها لن تكون في صالحهما[٨٨] ، حمل المعارضون السلاح ضد عبد الوهاب ودارت الحرب بين الطرفين انتهت بوفاة ابن فندين وعرف أصحابه اسم النكار وتميز الأباضية الآخرون باسم الأباضية الوهبية . ويرى علماء الأباضية أن النكار خرجوا على المذهب لخلافهم جمهور الأباضية في مسائل أخرى كثيرة[٨٩] .

ظلت معارضة النكارية في منطقة طرابلس حيث قويت

---

(٨٧) علي يحيى معمر ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ، صفحات ٢٥٨ - ٢٦٢ .

(٨٨) أتت الفتوى لصالح الإمام عبد الوهاب تنص على أن ليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا شرطاً في الإمامة بأن لا يقضي الإمام أمراً دون جماعة . انظر الحارث العماني ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٥٤ .

(٨٩) علي يحيى معمر ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ، صفحات ٢٥٨ - ٢٦٣ .

مـرة أخرى بعـد توليـة أفلح بن عبد الـوهـاب عـام ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م) . خرج المعارضون تحت قيادة خلف بن السمح ، غير أن أباضية الجبل تمكنوا من القضاء عليهم وقد تعرض أبو بكـر بن أفلح أيضاً لاضـطرابات شـديدة في داخـل تيهرت ، تمكن أخوه أبو اليقظان بن أفلح بعد بيعتـه من تهدئتهـا وأعاد للإمامة هيبتها في فـترة حكمه الـطويلة التي امتدت حتى عـام ٢٨١ هـ (٨٩٤ م) . وبعـد وفاة أبي اليقـظان تجـدد النـزاع واختلف النـاس على ابنـه الإمام أبي حـاتم وخرج عليـه عمه يعقـوب فـدارت الحـرب بينهـما وحسمت بعـد أربعـة أعـوام لصـالح الإمـام أبي حاتم ، لكنـه لقى مصرعه عـام ٢٩٤ هـ (٩٠٦ م) عـلى أيـدي أبنـاء أخيـه . وبهـذا الحـادث انتهت الإمامة الإسلامية وتبرأ أهل الـدولة من اليقـظان الذي نصب نفسه والياً على تيهرت واستقلت كل ناحية من الدولة بواليهـا القـديم وبمجلس الشورى ، ولـذلك وقعت تيهـرت فـريسـة سهلة في أيدي العبيديين فدخلوهـا دون حرب عـام ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م)[٩٠] .

---

(٩٠) الـدرجيني ، الـطبقـات ، ج ١ صفحـات ٤٩ ـ ٥١ ، ٩٥ ، الشماخي ، السير ، صفحات ٢٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٧٢ ، ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ١٩٧ .

الأباضية بعد سقوط الدولة :

لم تقتل الضربة التي أصابت الأباضية في تيهرت العبيديين وبث الروح في دولتهم فنظموا معارضتهم من داخل تيهرت . وذكر ابن عذارى أنهم انتصروا على الوالي الشيعي وقتلوا أكثر أصحابه وكانوا في ألف فارس « لكن عززت الدولة العبيدية موقفها وأرسلت إليهم أعداداً عظيمة وخلق لا يحصى كثرة » تمكن من إنزال هزيمة قاسية بالأباضية بالمدينة وقتل الألوف من سكانها[٩١] .

أدت هذه الهزيمة إلى هجرة جماعات كبيرة من الأباضية جنوباً فاستقروا في ورجلان بعيداً عن قبضة الشيعة . فورثت ورجلان الحضارة الرستمية في المغرب الأوسط ، وعمروا منطقة سدراته الواقعة إلى الجنوب من ورجلان بسبعة أميال فحفروا الآبار وشيدوا المباني والقصور واستصلحوا الأراضي فظهرت القرى العظيمة التي عرفت باسم السبع مدن[٩٢]

---

(٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٩٢) السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سبق ذكره ص ٥٨١ . محمد بن تاوت « دولة الرستميين أصحاب تيهرت » معهد الدراسات الإسلامية في موريد (مجلد ٥ عدد ١ ، ٢ ، عام ١٩٥٧ م) ص ١٢٧ .

وصف الادريسي سكـانها بـأنهم « قبـائـل ميـاسـير وتجـار أغنياء »[٩٣] .

أمـا أباضيـة منطقـة طرابلس فقـد حاولـوا مقاومـة الشيعة وتقـدموا حتى حـاصروا طرابلس ولكنهم انهزمـوا من الشيعـة عـام ٢١٨ هـ (٩١٠ م)[٩٤] ، وتركـز الأباضيـة بعـدهـا في جبـل نفوسـة حيث اكتفت الـدولـة الشيعيـة بكسر شـوكتهم وقبولهم السيادة الاسمية فقط ، فكان أهل الجبل يختارون من بينهم من يقوم بأمرهم له نفس صلاحيات الإمـام ولكن دون أن يطلق عليه اللقب .

وفي جربة حافظ الأباضية على حيادهم في أول عهد الدولة العبيدية ، لكن عندما اتجه الشيعة نحو البحر وبناء الأساطيل احتلوهـا عـام ٣١١ هـ (٩٢٣ م) فخضعت لهم خضـوعـاً مباشراً . وقـد عانى أهـل جربـة قسوة الحكم الشيعي فسعـوا للتخلص منـه ، انضمت جـربـة إلى ثـورة أبي يـزيـد بن

---

(٩٣) الادريسي ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (ليدن ١٨٦٤) ص ١٢٠ .

(٩٤) ابن غزاري المراكشي ، ج ١ ص ١٦٣ .

كيداد[٩٥] في بدايتها ، لكنهم انسحبوا من تأييده ، وعادوا إلى حكم الشيعة مرة أخرى . وأثمرت جهودهم بالخلاص من الحكم الشيعي في الفترة الواقعة بين ٣٥٠ ـ ٤٣١ هـ (٩٦١ ـ ١٠٣٩ م)[٩٦] .

وبعد ضعف النفوذ العبيدي في المغرب بانتقال مركزهم إلى مصر سيطر الصنهاجيون على أفريقية ، وعاش الأباضية حياة هادئة تحت ظلهم حتى في داخل القيروان[٩٧] . وظل الأباضية منذ ذلك التاريخ يحافظون على كيانهم وتراثهم في ميذاب وجبل نفوسة وجربة . وقد ساعد على ذلك النظام الذي التزم به الأباضية في حياتهم واعتبروه البديل لدولتهم ، وهذا النظام يتولى الإشراف على جميع نواحي الحياة في المجتمع الأباضي وهو ما اصطلح على تسميته بنظام العزابة .

---

(٩٥) ثار أبو يزيد محمد بن كيداد ضد الدولة العبيدية بين عام ٣١٦ ـ ٣٣٦ هـ . وهو في طائفة النكار ، أيده في أول الأمر بعض الأباضية لكنهم انسحبوا من تأييده . الدرجيني ، ج ١ صفحات ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

(٩٦) علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٩٧) نفس المرجع المذكور ص ٤٨ .

نظام العزابة :

اشتقت كلمة عزابة من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه ، أو العزابة بمعنى العزلة والغربة ويقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامة . والأسباب التي أدت إلى تطبيق هذا النظام هي الظروف التي مرت بالأباضية منذ نهاية القرن الهجري الثالث . فسعى العلماء إلى وضع أسس يمكن عن طريقها تطبيق الشريعة الإسلامية بين تجمعات الأباضية ما دامت الدولة القائمة عاجزة عن ذلك ، وما دامت الظروف لا تمكنهم من إعادة بناء دولتهم(٩٨) .

وأول من تصدى لهذا العمل هو العالم الأباضي الكبير أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القرسطائي في أواخر القرن الرابع الهجري(٩٩) . درس أبو عبد الله الأوضاع العرفية التي كانت

---

(٩٨) لخص الأستاذ علي يحيى معمر ، في مؤلفه الأباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ، نظام العزابة تلخيصاً وافياً ، وفي الحلقة الثانية من نفس الكتاب أفرد فصلاً خاصاً عن نظام التربية والتعليم تحدث فيه أيضاً عن العزابة . وقد اعتمدت على هذين الكتابين فلخصت ـ بتصرف ـ المعلومات الواردة هنا .

(٩٩) اتفق علي يحيى معمر مع الدرجيني أن أول من وضع نظام العزابة هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر أن أول من وضع نظام العزابة هو أبو العباس أحمد بن أبي بكر النفوس في القرن=

تحكم المجتمع الأباضي مستنداً إلى تشريعات الإسلام فوضع دستوراً عرف « بنظام العزابة » يعتبر من أقدم القوانين التي وضعت في المجتمعات الإسلامية ، ثم جاء بعد أبي عبد الله عدد من العلماء عنوا بدراسة هذا القانون وأضافوا إليه بعض المواد وأطلق عليه « سيرة العزابة » .

فالعزابة ، هي هيئة محدودة العدد تعمل وفقاً لضوابط معينة للإشراف الكامل على شؤون المجتمع الأباضي ، الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية . ويمثل العزابة الإمام ويقومون بعمله في حالة غياب الدولة الأباضية . ويجب توفر شروط محددة في الشخص لكي ينضم إلى حلقة العزابة . من أهم تلك الشروط حفظ كتاب الله تعالى ، واستكمال مراحل الدراسة مع الرغبة في مواصلة العلم . وأن يكون الشخص متديناً عفيفاً ، طاهر الباطن والظاهر هذا من الناحية العلمية . وعلى الشخص أيضاً المحافظة على زي العزابة

= الخامس الهجري . انظر : الدرجيني ، الطبقات ج ١ ص ٤ ، علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الطبقات ج ١ ص ٤ ، علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الأولى ص ١٠٧ والحلقة الثانية صفحات ٤٦ ، ٤٧ ، ١٧٨ ـ أحمد مختار عمر ، النشاط الثقافي في ليبيا (منشورات الجامعة الليبية كلية التربية ١٩٧١ م ط أولى) ص ١٤٧ .

الرسمي ، وأن لا تكون لـه مشاغـل دنيويـة تجعله يتردد عـلى الأسواق والمحال العامة حفاظاً على مهابته . وقد روعيت هذه الشروط بـدقـة في قبـول الشخص في الحلقـة وذلـك للمهـام الكبرى التي توكل إليه من داخل حلقات العزابة .

وتلك المهام يمكن تقسيمها إلى :

(١) الإشراف العـام على كـل ما يتعلق بـالمجتمـع الأبـاضي وهي الـوظيفـة البـديلة لـوظيفـة الإمـام . ويقـوم بهـذا المنصب شيخ حلقة العزابة .

(٢) القضـاء فيما يقـع بين النـاس من مشـاكـل والفصـل في القضـايـا ورد الحقـوق إلى أهلهـا وتـأديب العصـاة والمجرمين وحفظ الأموال ومراقبتها والحراسة على أمـوال الناس .

(٣) ضبط ميـزانية الحلقـة بالإشراف عـلى الأوقاف وتنميتهـا وصيانتها .ورصد الصادرات والواردات .

(٤) الإشراف على الشؤون الاجتماعيـة وتفقد أحـوال الناس لتقديم المساعدات سواء من ميـزانية الحلقـة أو بتكليـف ذوي اليسار أو بإيجاد الأعمال لمن له القدرة على ذلك .

(٥) الإشراف على التعليم والعمل على إتاحـة الفرصـة لكل

الأطفال لينالوا قسطاً منه ، ورصد جزء من ميزانية الحلقة لأعمال التعليم وإعانة الطلبة .

(٦) الإشراف على العلاقات الخارجية بين المجموعات الأباضية وبينها وبين غيرها ، وتنظيم تلك العلاقات في حالتي السلم والحرب .

فحلقة العزابة بذلك تكون حكومة متكاملة بالمفهوم الحديث على رأسها رئيس الوزراء هو شيخ العزابة ، وتتألف وزراته من وزراء للعدل والخزانة والأوقاف والشؤون الاجتماعية والتعليم والخارجية . فكيف يتم اختيار تلك الحكومة ؟

نص قانوني العزابة على تكوين حلقة عزابة في كل بلد أو قرية يراعى في الاختيار شروط العضوية ما أمكن ذلك . ثم تكون مجالس على مستوى المناطق تمثل فيها حلقات القرى والمدن . ومن مجالس المناطق يكون مجلس أعلى للعزابة يسمى « الهيئة العليا للعزابة » يرأسه شيخ العزابة الذي يمثل الإمام ، ومقر هذه الهيئة هو مركز البلد أو عاصمتها . وتعقد الهيئة العليا اجتماعات دورية مرة كل ثلاثة أو ستة أشهر ، ومتى دعت الحاجة إلى الاجتماع . ويحضر الاجتماعات الدورية

ممثلون لجميع حلقات العزابة . تنظر الهيئة العليا في الأحداث الكبرى كمسائل الحدود والأمن العام وتطرح فيه المصاعب التي تواجه حلقات العزابة الصغرى .

ومقر حلقة العزابة هو المسجد ولذلك يقام إلى جانب المسجد بيت خاص بالعزابة تكون مقراً لحلقاتهم . وفي العادة تتكون الحلقة من عشرة إلى ستة عشر عضواً توزع عليهم الأعمال المنوطة بهم . وإلى جانب المهام السابقة يوكل إلى أفراد الحلقة مهام أخرى إذ يخص أفراد لمهمة الأذان ، وحقوق الموتى ، من غسله والصلاة عليه ودفنه ومراقبة تنفيذ وصيته .

وقد وضعت ضوابط لمعاقبة من يخرج على نظام الحلقة من أعضائها . فإن ارتكب أي عضو مخالفة يوقع عليه العقاب بقدر الخطأ . فإن كانت المخالفة صغيرة عقد له مجلس تأديب سري يراجع فيه العضو ، وقد يبعد عن الحلقة لمدة تقررها الحلقة ، أما إذا كان الخطأ كبيراً يتصل بمعصية الله حكموا عليه بالبراءة ، ولا يرفع عنه هذا الحكم حتى يتوب علناً . وليس له الحق في الرجوع إلى حلقات العزابة .

تتمتع أفراد العزابة بمكانة كبيرة في نفوس المواطنين

لسلوكهم الحميد ونزاهتهم وتفانيهم في خدمة المجتمع ، ولذلك فإن قراراتهم كانت تنفذ بدقة وترضى بها كل الأطراف ، وتوجيهات العزابة يعمل بها عن رضى وقناعة . وإذا حدث وانحرف شخص عن دين الله ، أو تصدى لأحكام العزابة ، أعلن عليه حكم البراءة وتعني البراءة عزل الشخص وتبرؤ كل المؤمنين منه وينفذ ذلك الصديق والأهل ويقطع الناس معاملتهم معه إلا بالقدر الضروري . فيضطر إلى الرجوع لحياة الجماعة وإعلان التوبة والندم .

يوجد مجلس استشاري للعزابة هو « منظمة ايروات » وهم جماعة من حفظة القرآن والمشتغلين بالدراسة . ولهذه المنظمة القوة الثانية بعد العزابة ، أو كمجلس النواب بالنسبة للشيوخ ، وقد يسند إليها العزابة بعض الأعمال(١٠٠) .

التعليم :

أولى الأباضية اهتماماً كبيراً بالتعليم منذ دخول المذهب الأباضي المغرب في أول القرن الثاني الهجري فالتعليم تعتمد عليه حركة المذهب وبدونه سوف لن يكون هنالك استيعاب

(١٠٠) أنهى أباضية تونس وليبيا العمل بهذا التشريع منذ القرن الماضي . ولكنه لا زال مطبقاً بين أباضية الجزائر .

لمبادئه ، ولن يجد فرصته في الانتشار وسط السكان ، وهذا ما حدا بسلمة بن سعيد إلى إيفاد البعثات إلى البصرة للتزود بالعلم .

وبعد عودة البعثة من البصرة تولى كل فرد منها مهمة التدريس ، وبدأ التعليم المنتظم في مناطق تجمعات الأباضية فظهرت مدارس أبي درار الغدامسي وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي وعبد الرحمن بن رستم قبل انتقاله إلى الجزائر[١٠١] .

وبعد قيام الدولة ، نعم الأباضية بالهدوء والاستقرار ، ازداد اهتمامهم بالتعليم ووضعت سياسات مرسومة لتعميمه والنهوض بمستواه . ودأبت الدولة على توفير المعلم والكتاب وأماكن الدراسة . فإلى جانب المسجد فتحت المدارس والداخليات وأدخل نظام المدارس المتنقلة .

وفي سبيل توفير العلماء الأكفاء ، لم تتوقف البعثات إلى البصرة ، كما لم تقتصر على المشرق ، بل كان الطلبة الأباضية يترددون على مراكز العلم الكبرى في العالم الإسلامي

---

(١٠١) علي يحيى معمر ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية ص ٥٩ .

ويحضرون لكبار الأساتذة يتزودون بمختلف فروع المعرفة . وبالطبع فإن تعليم المذهب شيء أساس للدارسين اعتمدوا في أول الأمر في أخذه على الأئمة الذين تعلموا في البصرة ثم بعد ذلك على تلاميذهم .

وقد وفرت الدولة الكتاب للدارسين ، وبذلت الأموال الكثيرة لاثراء المكتبات . فقد أرسل عبد الرحمن بن رستم ألف دينار إلى علماء المشرق ليشتروا بها كتباً ، فاشترى علماء البصرة بهذا الألف ورقاً ونسخوا له « وقر أربعين جملاً كتباً »[١٠٢] وكانت خزانة الكتب في تيهرت زاخرة بالمؤلفات في كل مجالات المعرفة . وكانت مدن وقرى جبل نفوسة تضم المكتبات الغنية ، فخزانة نفوسة كان بها آلاف الكتب في عهد أفلح بن عبد الوهاب[١٠٣] .

ونشطت حركة التأليف وشجعتها الدولة . وقد أدى ذلك إلى ظهور بعض المؤلفات باللغة البربرية التي صارت تكتب بالحروف العربية . ورغم ضياع الكثير من المؤلفات الأباضية في الحروب والفتن وأثناء الهجمات الاستعمارية على المغرب إلا

---

(١٠٢) الحارث العماني ، مرجع سبق ذكره ص ٢٧٥ .

(١٠٣) أحمد مختار عمر ، مرجع سبق ذكره ص ١١١ .

أن بعض ذلك التراث لا زال موجوداً شاهداً كبيراً على تلك الحركة الكبرى . ويحتوي هذا التراث الكثير من المجلدات في مواضيع مختلفة . ومن أهم تلك المخطوطات المؤلف الكبير في الشريعة الإسلامية « ديوان الأشياخ » في خمسة وعشرين جزءاً ألفه سبعة من كبار مشائخ نفوسة . وكذلك الموسوعة الكبرى ، « ديوان العزابة » وهذان الأثران موجودان في ميذاب بالجزائر . كما يوجد أيضاً الكثير من المخطوطات في مكتبة جزيرة جربة في تونس وفي جل نفوسة ووزارة في ليبيا(١٠٤) .

أما المدارس فكانت من المرافق التي وجدت عناية خاصة في جميع مناطق تجمعات الأباضية . وربما كان الأباضية من أوائل واضعي أسس سليمة ومنظمة للتربية والتعليم . وقد تطورت المدارس وتوسعت موفرة الفرص أمام طلبة العلم من حداثة سنهم حتى مرحلة التخرج . وكانت الكثير من المدارس تضم أقسام داخلية وتقدم للطلبة الوجبات الغذائية والإعانات المالية . وكان الاهتمام بتعليم المرأة مواكباً لتعليم

---

(١٠٤) محمد علي دبوز ، مرجع سبق ذكره صفحات ٣٨٨ - ٣٨٩ ، ٤١٤ .

الرجل ، ففتحت المدارس الخاصة بالبنات ، في بعضها أقسام داخلية لإيواء الدارسات من الأماكن البعيدة . كما كانت هنالك مدارس تحضر فيها الطالبات الدروس إلى جانب الطلبة[١٠٥] .

وقامت أيضاً المدارس المتنقلة ، ورغم محاربة الأباضية للبداوة ، إلا أن تلك المدارس قدمت خدمات جليلة للمناطق النائية ، كما أثرت مناطق التجمعات التي لم تقم فيها دراسات عالية[١٠٦] .

أدى هذا الاهتمام المتواصل بالتربية والتعليم إلى تطور أساليب التربية وتنظيم المؤسسات العلمية واستنباط القوانين التي تدار بها المدارس ، بجميع أقسامها من المراحل الابتدائية حتى المراحل العليا . كما وضعت الأنظمة للفصول الدراسية وانتقال الطالب من مرحلة إلى أخرى ، وكيفية الاختيار . ونظمت شؤون بيوت الطلبة والطالبات[١٠٧] ولذلك يعتبر

(١٠٥) أحمد مختار عمر ، مرجع سبق ذكره ص ١١٧ .

(١٠٦) انظر مقدمة كتاب الطبقات للدرجيني ، وكذلك علي يحيى معمر ، الأباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

(١٠٧) راجع الفصل الذي أورده علي يحيى معمر عن نظم التربية والتعليم وكذلك الفصل الذي أفرده عم المدا في مؤلفه ، الأباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية ص ٥٧ ، ١٣٧ .

نظام التربية والتعليم الأباضي من أكفأ الأنظمة التي طبقت في عالمنا الإسلامي ، لكنه لم يجد العناية التامة من الدارسين المتخصصين .

التجارة(*) :

أسهم الأباضية بدور رئيسي في النشاط التجاري في المغرب . وتركز هذا النشاط بصفة خاصة في تجارة الصحراء . فقد اهتم المسلمون اهتماماً كبيراً بهذا الجانب لضمان وصول سلع المناطق الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى بانتظام . وكان الاهتمام يتجه بصفة خاصة إلى التبر . فقد خطى المسلمون إلى الدور الكبير الذي يلعبه ذهب غرب أفريقية على الاقتصاد العالمي في ذلك الوقت(١٠٨) .

(*) اهتم الرستميون بالزراعة كمصدر أساسي من مصادر الثروة خاصة وأن مناطق استقرار الأباضية تضم مساحات كبيرة صالحة للزراعة سواء في ذلك مناطق المغرب الأوسط أو جبل نفوسة أو واحات الصحراء ، كما نشطت بعض الصناعات مثل صناعة الصوف في جبل نفوسة ، وميذاب ، ولكن اكتفيت هنا بالإشارة إلى النشاط التجاري للدور الهام الذي قام به الأباضية في هذا المرفق .

(١٠٨) أحمد الياس حسن « الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن السادس عشر كما عرفها الجغرافيون العرب » رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٧ م ، ص ١٤٥ .

قادت أسرة بني الخطاب الأباضية هذا النشاط في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى . وذلك لوقوع عاصمتهم زويلة في قلب الصحراء ولسهولة ارتباطها شمالاً بحوض البحر المتوسط وجنوباً بحوض بحيرة تشاد وحوض النيجر الأوسط . ففي الشمال ارتبطت عبر واحات جالوا وزلة والجفرة وغدامس بسواحل البحر المتوسط وفي الجنوب ارتبطت بواحات مرتفعات تومو وكوار زويلة بإقليم السافنا . أدى هذا الموقع إلى إشراف زويلة إشرافاً مباشراً على الطريق الشرقي في الصحراء الكبرى .

قام هذا الطريق بدور هام في تاريخ المنطقة لم يتقصر على النشاط التجاري ، فقد كان أول اتصال للمسلمين بأطراف السافنا عبر هذه المنطقة ممثلاً في حملة عقبة بن نافع التي دخلت كوار . ثم تدفق العزل عبره إلى مراعي السافنا جنوباً ، فوصلت بذلك الطلائع الأولى من حملة الإسلام إلى حوض بحيرة تشاد ونهر النجير . ثم انتظمت بعد ذلك قوافل التجارة التي كانت تتجه من زويلة إلى حوض بحيرة تشاد التجارية ومملكتي جاو وغانة(١٠٩) .

(١٠٩) مملكة جاو عرفت في كتب الجغرافيا والرحلات والتاريخ العربية =

وتوسعت تجارة الصحراء بقيام الدولة الرستمية التي سيطرت على مداخل الطريقين الشرقي والأوسط ، فأشرقت بذلك على تجارة القوافل المارة عبر هذين الطريقين . وقام الرستميون بحفر الآبار على هذه الطرق ، وساهموا في تأمينها ، بإرسال الجنود بصحبة القوافل لاجتياز المراحل غير الآمنة في داخل الصحراء .

أدى ذلك إلى انتقال « التجارة والأموال التي تيهرت من

= القديمة تحت اسم كوكو . وقد قامت في وقت مبكر قبل القرن الثالث الهجري ، لأنها أصبحت عاصمة لأعظم ممالك السودان « وكانت لها اتصالات تجارية واسعة عبر الطريقين الأوسط « تادمكة ورقلان » والشرقي زويلة ـ حوض بحيرة تشاد . ودخلت جاو تحت حكم امبراطورية مالي في الفترة ما بين ٦٢٦ ـ ٦٣٦ هـ (١٣٢٥ ـ ١٣٣٥ م) ، ثم استقلت عنها وبدأ عصرها الذهبي منذ سنة ٨٦٩ هـ (١٤٦٤ م) ـ وقضت عليها قوات المنصور الذهب من المغرب عام ١٠٠٠ هـ (١٥٩١ م) . ومملكة غانة (القرن الرابع الميلادي حتى الثالث عشر الميلادي) قامت في المنطقة الواقعة بين نهري السنال والنيجر وتوسعت شمالاً حتى بلغت حدودها في بعض الأحيان أطراف الصحراء الشمالية من المغرب الأقصى واشتهرت غانة عند المسلمين بأنها أكبر مصدر للذهب ، ودخلت في صراع مع المرابطين فكان من بين الأسباب التي أدت إلى نهايتها ودخولها ضمن حدود أمبراطورية مالي في القرن الثالث عشر الميلادي ، انظر : أحمد الياس حسين ، مرجع سبق ذكره صفحات ١٢٤ ، ١٣٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ .

مصر والمغرب وأفريقية لخوفهم من أئمة الجور»[١١٠] فنشطت حركة التجارة ، وجذبت إليها قطاعات كبيرة من المواطنين ، وحتى الأئمة أنفسهم كانوا يقومون بأعمالهم التجارية الخاصة . فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن كان يمارس التجارة قبل توليه الإمامة . وقد لعبت الارتباطات القديمة بين سكان المنطقة دوراً كبيراً في تطور العلاقات التجارية[١١١] .

فحاكم جبل نفوسة الأباضي أبو عبيدة عبد الحميد الجناؤني (١٨٤ ـ ١٢٦ هـ/ ٨٠٠ ـ ٨٥٠ م) كان يتحدث اللغة الكاتورية[١١٢] بنفس الطلاقة التي يتحدث بها اللغة العربية والبربرية . كما يرجع اسم جادو في جبل نفوسة إلى جادو

---

(١١٠) الشماخي ، السير الأباضية ، مخطوط (دار الكتب الوطنية ، تونس تحت رقم ١٥٣٤٩) ورقة ٧١ .

(١١١) ارتبطت منطقة فزان ومرتفعات الحجاز بجبل نفوسة وورفلان من جهة وبحوض النيجر الأوسط من جانب آخر ارتباطات قوية لها جذور قديمة وذلك لأن مملكة الجرمانتين في فزان قامت بدور الوسيط التجاري على هذا الطريق الأوسط منذ قرون كثيرة قبل دخول الإسلام إلى المنطقة .

انظر : أحمد الياس حسين مرجع سبق ذكره ، صفحات : ٥٨ ـ ٦٠ .

(١١٢) الكاتورية هي لغة مجموعة الكاتوري التي كانت تقطن في حوض بحيرة تشاد ومن المجموعات المؤسسة لدولة كاتم .

الثنائية في واحات كوار على طريق زويلة تشاد(١١٣) .

لكن ارتباط الأباضية الأقوى بالسودان كان عبر الطريق الأوسط في الصحراء الكبرى والذي يمر عبر واحات الجزائر التي تمتد لمسافة ألف ومائتي كيلو متر إلى الجنوب على هيئة شريط أخضر يمثل طريقاً طبيعياً بين أمصار المغرب الأوسط ومرتفعات الحجاز (١١٤) .

وكانت ورجلان من أهم المراكز التجارية على هذا الطريق ، يقابلها على طرف الصحراء الجنوبي تادمكة(١١٥) . ويتضح مما ذكره أبو زكريا الورجلاني الارتباط التام بين ورجلان وتادمكة ونشاط القوافل بينهما . وقد ارتبطت ورجلان كذلك بمملكة غانة عبر تغازا وأودغشت(١١٦) . وقد واصلت

---

(١١٣) Martin Op Cit P. 18

(١١٤) E F Gautier, s aha ra (Paris 1928) P. 172

(١١٥) تقع تادمكة في منطقة ادرار الجبلية ، ويبدو أنها ظهرت كمركز تجاري قبل القرن الثالث الهجري ، وأصبحت من أكبر المراكز في نهاية الطريق الأوسط (ورجلان تادمكة) وقد بدأت تادمكة تفقد أهميتها كمركز تجاري بعد اتساع مملكتي صنفانة وكاتم بعد القرن السادس الهجري . انظر أحمد الياس حسين ، مرجع سبق ذكره ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(١١٦) كانت تغاز من أكبر مناجم الملح الذي تتردد به القوافل الداخلة =

ورجلان النشاط التجاري بعد سقوط الدولة الرستمية وانتقل إليها نشاط تيهرت التجاري فتوسعت أعمالها . ويؤكد هذا النشاط التجاري المنتظم ما جاء عن ورجلان من القرن الرابع حتى السابع الهجري بخصوص حصونها المنيعة وأهلها الأغنياء المياسير بسفرهم الكثير إلى بلاد السودان(١١٧) .

لم تتوقف حركة ورجلان التجارية بعد القرن السابع الهجري عندما خرجت سدراته بسبب الفتن المتتالية في الجنوب(١١٨) . فقد استعادت مكانتها التجارية السابقة ، وقويت علاقتها مراكز صنغاي(١١٩) استمرت تلك العلاقات حتى مستهل القرن العاشر الهجري ، وانعكس ذلك على

= إلى بلاد السودان ، وأودعت اشتهرت كمركز تجاري هام شمال غته وربطتها بشمال أفريقية . وقامت به مملكة بربرية نازعت غانه السيطرة على تجارة الصحراء . انظر : أحمد الياس حسين مرجع سبق ذكره صفحات ٧٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ .

(١١٧) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (الجزائر ١٨٥٧) ص ١٨٢ .

(١١٨) السيد عبد العزيز سالم ، مرجع سبق ذكره ص ٥٨١ .

(١١٩) صنغاي - هي المملكة التي قامت في وسط حوض النيجر وكانت مملكة كوكو (جاو) هي أساسها الأول للتوسع وقد كتبت ستغافة ، وسفى ، وسنغى ، انظر : أحمد الياس حسين مرجع سبق ذكره ص ٥٧ - ٥٨ .

سكـانها الأثـريـــاء الـذين اختلطوا بـــالسـودان حتى وصفهم ليـو[١٢٠] بأنهم سـود البشرة ، ولواليهـا القوى عـدد كبير من الفرسان المجندين لحماية تلك المكاسب التجارية .

---

(١٢٠) Leo Africanus, the History and Discription of Africa: Done into English 1600 by John pory (London 1896) Vol. 3 B. 6, P. 791.

خاتمة

اتضح من خلال هذه الدراسة أن فرقة الأباضية نجحت في بث دعوتها في المغرب العربي حتى أصبح لها ثقل كبير بين سكانه ، وأقامت دولتها منذ القرن الثاني الهجري . ورغم أن عمر هذه الدولة لم يمتد طويلاً إلا أن تراث ونظم الأباضية أظل مجموعات كبيرة من أهل المغرب منذ سقوط دولتهم في آخر القرن الثالث الهجري وحتى العصر الحديث .

وقد أسهم الأباضية بدور كبير في تاريخ المغرب الإسلامي في المجالات السياسية والاقتصادية والتربوية وهي المجالات التي تعرض لها البحث . كما قام الأباضية بدور واضح في انتشار الإسلام في غرب أفريقيا وكان لهم فضل السبق على غيرهم في هذا الميدان[١٢١] . وكانت للأباضية علاقات طيبة

(١٢١) راجع بخصوص جهود الأباضية في انتشار الإسلام في غرب أفريقيا : أحمد الياس حسين : « دور فقهاء الأباضية في إسلام مملكة مالي قبل

مع الدول الإسلامية في المغرب والأندلس وكانت صلاتهم وثيقة بأباضي المشرق .

ويلاحظ أن تاريخ الأباضية لم يجد الاهتمام المطلوب في المعاهد والجامعات العربية رغم ثقله وأهميته ومكانته البارزة في التاريخ الإسلامي . فقد طورت هذه الفرقة وجددت كثيراً في مختلف المجالات السياسية والتربوية ، ولعل نظام العزابة وحده يتطلب جهود مؤسسات مختلفة لدراسته والاستفادة من تجاربه .

= القرن الثالث عشر الميلادي ، في كتاب ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الأفريقية (العراق ١٩٨٥ م) ص ٩٣ والصفحات التالية .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
تقديم	٥
الصراع بين البربر والمسلمين	٦
المذهب الأباضي	١١
الأباضية والخوارج	١٧
الأباضية في المغرب	٢٠
مراحل قيام الدولة	٢٢
المرحلة الأولى : محاولة الحارث وعبد الجبار	٢٢
المرحلة الثانية : محاولة ابن الخطاب	٢٤
المرحلة الثالثة : قيام الدولة الرستمية	٣٠
علاقات الدولة الرستمية الخارجية	٣٨
الأسرة الرستمية	٤٤
الأباضية بعد سقوط الدولة	٤٨
نظام العزابة	٥١

التعليم ٥٦
التجارة ٦١
خاتمة ٦٨